

الآداب المعنوية للدعاء



للدعاء آداب معنويةٌ لطيفةٌ لابدّ للداعي أن يُحسن الالتزام بها وتقديمها التماساً لاستجابة الباريّ تعالى لدعائه، ومن هذه الآداب:

الأوّل - حُسْنُ الظنِّ بالله تعالى: إنّ حُسْنَ الظنِّ بالله متفرّعٌ عن معرفته سبحانه.. فعلى الداعي أن يُحسن الظنَّ باستجابة دعائه ويتذكّر دوماً قوله تعالى: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) وقوله: (أَمِّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) (النمل/ 62). ويتيقّن بأنّ الله تعالى لا يُخلف الميعاد وسيستجيب دعوته، قال رسول الله (ص): "ادْعُوا الله وأنتُمْ موفون بالإجابة"، وقال الإمام الصادق (ع): "إذا دعوت فأقبل بقلبك ووطنٌ حاجتك بالباب".

الثاني - الوفاء بعهد الله: على الداعي أن يفي بعهد الله ويطيع أوامره، وهما من أهمّ الشروط في استجابة الدعاء. عن الإمام الصادق (ع) أنّه قال له رجل: جعلت فداك، إنّ الله يقول: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)، وإنّا ندعو فلا يُستجاب لنا، قال: "لأنّكم لا تَفُون الله بعهده وإنّ الله يقول: (وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ)، وإنّ لو وفيتُمْ لوفى الله لكم".

الثالث - الإقرار بالذنوب: على الدّاعي أن يعترف بذنوبه مقرّاً، مذعناً، تائباً عمّاً اقترفه من خطايا، وما ارتكبه من ذنوب، من دعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) المروي عن كميل بن زياد: "وقد أتيتك يا إلهي بعد تَقصيري وإسرافي على نفسي مُعْتَذِراً نادِماً مُنْكَسِراً مُسْتَقْريلاً مُسْتَغْفِراً مُذِيباً مُقَرِّراً مُذْعِناً مُعْتَزِفاً لا أَجِدُ مَفَرّاً ممّا كان مِنِّي ولا مَفْزَعاً أَتَوَجَّهُ إليه في أَمْرِي غَيْرَ قَبُولِكَ عُذْرِي وإِخْلَالِكَ إِيَّايَ في سَعَةِ مِن رَحْمَتِكَ، إلهي فَاقْبَلْ عُذْرِي وارْحَمْ شِدَّةَ ضُرِّي وفُكَّ نَفْسِي مِن شِدَّةِ وَثَاقِي"، فالإمام (ع) قدّسَ الإقرار بالذنوب على الطلب والمسألة.

الرابع - الإقبال على الله تعالى: من أهمّ آداب الدُّعاء هو أن يُقبل الدّاعي على الله سبحانه بقلبه، وعواطفه، ووجوده، وأن لا يدعو بلسانه وقلبه مشغول بشؤون الدنيا، فهناك اختلافٌ كبيرٌ بين مجرد قراءة الدُّعاء، وبين الدُّعاء الحقيقي الذي ينسجم فيه اللسان انسجاماً تاماً مع القلب، فَتَهْتَرُ له الروح، لكي تحصل فيه الحاجة. قال الإمام الصادق (ع): "إنّ الله عزّ وجلّ لا يَسْتَجِيبُ دُعاءً يَطْهَرُ قَلْبُ سَاحِهٍ فَإِذَا دَعَا دَعَا قَبْلَ بَقَلْبِكَ ثُمَّ اسْتَيْقِنْ بِالْإِجَابَةِ".

الخامس - ترقيق القلب والخشوع: يُستحبُّ الدُّعاء عند استشعار رقّة القلب وحالة الخشية التي تنتابه بذكر الموت والبرزخ ومنازل الآخرة وأحوال يوم المحشر؛ وذلك لأنّ رقّة القلب سببٌ في الإخلاص المؤدّي إلى القرب من رحمة الله وفصله. رُوِيَ عن رسول الله (ص) أنّه قال: "اغْتَنِمُوا الدُّعاءَ عِنْدَ الرِّقَّةِ فَإِنَّهَا رَحْمَةٌ". فكلّما رقّ قلب الدّاعي كلّما كان مهيباً لاستقبال ذخائر الرحمة الإلهية، وتحقيق قصده في الاستجابة، وعن الإمام الصادق (ع): "إذا اقشعرّ جِلْدُكَ ودَمَعَتْ عَيْنَاكَ ووَجَلَّ قَلْبُكَ فَدُوكَ دُونَكَ فَقَدْ قُصِدَ قَصْدُكَ". قال تعالى: (ادْعُوا رَبَّكُمْ خَائِفاً مُخْفِينَ) (الأعراف/ 55). وفيما أوحى الله إلى موسى (ع): "يا موسى، كُنْ إِذَا دَعَاكَ خَائِفاً مُخْفِياً وَجَلّاً عَفِيراً وَجَهْكَ لِي فِي التَّوْبِ واسْجُدْ لِي بِمَكَارِمِ بَدَنِكَ وَاقْنُتْ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْقِيَامِ وَنَاجِنِي حِينَ تُنَاجِيَنِي بِخَشْيَةٍ مِن قَلْبٍ وَجَلٍّ".

السادس - عدم القنوط: على الدّاعي أن لا يقنط من رحمة الله، ولا يستبطئ الإجابة فيترك الدُّعاء؛ لأنّ ذلك من الآفات التي تمنع ترتّب أثر الدُّعاء، وهو بذلك أشبه بالزارع الذي بذر بذراً فأخذ يتعهده ويرعاه، فلمّا استبطأ كماله وإدراكه أهمله. فعن أبي بصير، عن الإمام الصادق (ع) أنّه قال: "لا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ بِخَيْرٍ وَرَجَاءٍ رَحْمَةً مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا لَمْ يُسْتَعْجَلْ فَيَقْطَعْ وَيَتْرُكْ الدُّعاءَ، فُلْتُ لَهُ: كَيْفَ يَسْتَعْجَلُ؟ قال: يَقُولُ قَدْ دَعَا مُنْذُ كَذَا وَكَذَا

وَمَا أَرَى الْإِجَابَةَ".

السابع - الإلحاح بالدُّعاء: في حال تأخُّر الإجابة، يجب معاودة الدُّعاء والإلحاح في المسألة، فلعلَّ تأخير الإجابة لمنزلة الداعي عند الله سبحانه، فهو يُحبُّ سماع صوته والإكثار من دعائه، فعليه أن لا يترك ما يُحبُّه الله سبحانه، فقد روي عن الإمام الباقر (ع) أنَّه قال: "إنَّ المؤمنَ يَسْأَلُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ حَاجَةً فَيُؤَخِّرُهُ عَنْهُ تَعَجُّيلَ إِجَابَتِهِ حُبًّا لِمَوْتِهِ وَاسْتِمَاعَ نَحْيِهِ". وعليه، فيجب الإلحاح بالدُّعاء في جميع الأحوال، ولما في ذلك من الرحمة، والمغفرة، واستجابة الدعوات، وعن رسول الله (ص): "رَحِمَ اللهُ عَبْدًا طَلَبَ مِنْهُ عَزَّوَجَلَّ حَاجَةً فَأَلَحَّ فِي الدُّعَاءِ اسْتُجِيبَ لَهُ أَوْ لَمْ يُسْتَجَبْ لَهُ".

الثامن - الدُّعاء في الرخاء: من آداب الدُّعاء أن يدعو العبد في الرخاء على نحو دعائه في الشدَّة، لما في ذلك من الثقة بالله، والانقطاع إليه، ولفضله في دفع البلاء، واستجابة الدعاء عند الشدَّة، وقد روي الإمام الصادق (ع): "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُسْتَجَابَ لَهُ فِي الشَّدَّةِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ".

التاسع - أن يكون عالي الهمَّة فيما يطلب: أن يدعو الله سبحانه وتعالى بمعالي الأمور التي لا يمكن تحصيلها إلا ببذل الهمم. فقد ورد عن الإمام الكاظم (ع) أنَّه قال: "بَكَى أَبُودَرٍّ رَحِمَهُ اللهُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ حَتَّى اشْتَكَى بِصَرِّهِ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا ذَرٍّ، لَوْ دَعَوْتَ أَنْ يَشْفِيَ بِصَرِّكَ، فَقَالَ: إِنِّي عَنْهُ لَمَشْغُولٌ وَمَا هُوَ مِنْ أَكْبَرِ هَمِِّي. قالوا: وَمَا يَشْغَلُكَ عَنْهُ؟ قَالَ: الْعَظِيمَتَانِ: الْجَنَّةُ وَالنَّارُ". ومن القصص الجميلة، ما روي عن ربيعة بن كعب أنَّه قال: "قال لي ذات يوم رسول الله (ص): يا ربيعة، خدمتني سبع سنين أفلا تسألني حاجة؟ فقلت: يا رسول الله، أمهلني حتى أفكِّر. فلمَّا أصبحت ودخلت عليه، قال لي: يا ربيعة، هات حاجتك. فقلت: تسأل أن يدخلني معك الجنة. فقال لي: مَنْ عَلَّمَكَ هَذَا؟ فقلت: يا رسول الله، ما عَلَّمَنِي أَحَدٌ، لكنني فكَّرت في نفسي، وقلت: إن سألتَه مالاَّ كان إلى نفاذ، وإن سألتَه عمراَّ طويلاَّ وأولاداَّ كان عاقبتهم الموت. قال ربيعة: فنكَّس رأسه ساعةً، ثمَّ قال: أفعل ذلك، فأعزَّي بكثرة السجود".

العاشر - الاضطرار إلى الله تعالى: روي أنَّ الله تعالى أوحى إلى عيسى (ع): "ادْعُنِي دُعَاءَ الْحَزِينِ الْغَرِيقِ الَّذِي لَا يَسَّ لَهُ مُغِيثٌ، يَا عِيسَى سَلْنِي وَلَا تَسْأَلْ غَيْرِي فَيَحْسُنَ مِنْكَ الدُّعَاءُ وَمِنِّْي الْإِجَابَةُ". ويقول الله تعالى: (أَمَّنْ يَدْعِبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ

وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ فَلْيَلَا مَا
تَذَكَّرُونَ (النمل/ 62). والاضطرار أن يقطع الإنسان أمله من كل سبب سوى الله سبحانه، وأن يجعل
قلبه وروحه بين يدي رحمة الله، وأن يرى كل شيء منه وله، فيربط الأسباب بمسببها الأول والحقيقي
الذي لا يخرج شيء في هذا الوجود من تحت دائرة سلطانه، عن النبي (ص) قال: قال الله عز وجل: "ما من
مخلوق يعتصمُ بربي دونَ خلقي إلا ضمنتُ السماوات والأرض رزقه"، فإن دعائي
أجبتُهُ، وإن سألني أعطيتُهُ، وإن استغفرتني غفرتُ له".